

الباب الثالث

تفسير الدابة في الآية الثانية والثمانين من سورة النمل عند التفسير القديم والتفسير الحديث

البحث في هذا الباب هو يبحث عن تفسير الدابة في الآية الثانية والثمانين من سورة النمل عند التفسير القديم والتفسير الحديث، بعرض ذلك التفسير في كتابان من كتب التفسير القديم، هما: "جامع البيان في تفسير القرآن": للإمام ابن جرير الطبري و"تفسير القرآن العظيم": للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير، لأنهما الإمامين في التفسير القديم. وكتابان من كتب التفسير الحديث، هما: "تفسير المراغي": للأستاذ الشيخ أحمد مصطفى المراغي و"تفسير المصباح": للأستاذ الدكتور محمد قريش شهاب، لأن المراغي هو تلميذ الشيخ محمد عبده ورشيد رضا المأسسان والمبتكران للتفسير الحديث، وأما محمد قريش لأن كتابه "تفسير المصباح" بلغة إندونيسي، وهذا يسهل للإندونيسيين في فهمه، ولقد تأثر به كثيرا أفكار محمد عبده ورشيد رضا في تفسير القرآن، لأنه قد تعلم منذ سنة طويلة فالأزهر بالقاهرة. وسيذكر في هذا الباب من ترجمتهم وكتب التفسير لهم.

أ. التفسير القديم

١. جامع البيان في تفسير القرآن للإمام ابن جرير الطبري

أ) المؤلف

مؤلف هذا التفسير، هو أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة، وهو من أهل آمل طبرستان، ولد بها سنة ولد

بها سنة ٢٢٤ هـ (أربع وعشرين ومائتين من الهجرة)، ورحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، في سنة ٢٣٦ هـ. (ست وثلاثين ومائتين)، وطوف في الأقاليم، فسمع بمصر والشام والعراق، ثم ألقى عصاه واستقر ببغداد، وبقي بها إلى أن مات سنة ٣١٠ هـ. (عشر وثلاثمائة من الهجرة).^{١٤٧}

كان ابن جرير أحد الأئمة الأعلام، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا لكتاب الله، بصيرا بالقرآن، عارفا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم، هذا هو ابن جرير في نظر الخطيب البغدادي وهي شهادة عالم خبير بأحوال الرجال. وذكر أن أبا العباس بن سريج كان يقول: مُحَمَّدُ بن جرير فقيه عالم. وهذه الشهادة جد صادقة، فإن الرجل برع في علوم كثيرة، منها: علم القراءات، والتفسير، والحديث، والفقه. والتاريخ وقد صنف في علوم كثيرة وأبدع التأليف وأجاد فيما صنف، فمن مصنفاته: كتاب التفسير الذي نحن بصددده. وكتاب التاريخ المعروف بتاريخ الأمم والملوك، وهو من أمهات المراجع، وكتاب القراءات، والعدد والتنزيل، وكتاب اختلاف العلماء، وتاريخ الرجال من الصحابة والتابعين، وكتاب أحكام شرائع الإسلام، ألفه على ما أداه إليه اجتهاده، وكتاب التبصر في أصول الدين وغير هذا كثير من تصانيفه التي تدل على سعة علمه وغزارة فضله.^{١٤٨}

^{١٤٧} مُحَمَّدُ حسين الذهبي، التفسير و المفسر، ج. ١، ص. ١٤٧.

^{١٤٨} مُحَمَّدُ حسين الذهبي، التفسير و المفسر، ج. ١، ص. ١٤٨.

ولكن هذه الكتب قد اختفى معظمها من زمن بعيد، ولم يحظ منها بالبقاء إلى يومنا هذا وبالشهرة الواسعة، سوى كتاب التفسير، وكتاب التاريخ.^{١٤٩}

وقد اعتبر الطبري أبا للتفسير. كما اعتبر أبا للتاريخ الإسلامي، وذلك بالنظر لما في هذين الكتابين من الناحية العلمية العالية. ويقول ابن خلكان: إنه كان من الأئمة المجتهدين، لم يقلدا أحدا، ونقل أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ذكره في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين. قالوا: وله مذهب معروف، وأصحاب ينتحلون مذهبه يقال لهم "الجريرية"، ولكن هذا المذهب الذي أسسه - على ما يظهر - بعد بحث طويل، ووجد له أتباعا من الناس، لم يستطع البقاء إلى يومنا هذا كغيره من مذاهب المسلمين، ويظهر أن ابن جرير كان قبل أن يبلغ هذه الدرجة من الاجتهاد متمذبا بمذهب الشافعي، يدلنا على ذلك ما جاء في الطبقات الكبرى لابن السبكي، من أن ابن جرير قال: أظهرت فقه الشافعي، وأفتيت به ببغداد عشر سنين، وتلقاه مني ابن بشار الأحول، أستاذ أبي العباس بن سريح. وقال السيوطي في طبقات المفسرين: وكان أولا شافعيًا ثم انفرد بمذهب مستقل، وأقأو يل واختيارات، وله أتباع مقلدون، وله في الأصول والفروع كتب كثيرة.^{١٥٠}

ب) كتابه

يقع تفسير بن جرير في ثلاثين جزءا من الحجم الكبير،^{١٥١} وأن الطبري أتم تفسيره هذا في سبع سنوات، إملاء على أصحابه.^{١٥٢} ويعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر

^{١٤٩} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٤٨.

^{١٥٠} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٤٨.

^{١٥١} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٤٩.

^{١٥٢} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٦٠.

المرجع الأول عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان في الوقت نفسه يعتبر مرجعا غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي، نظرا لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحا يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق.^{١٥٣}

قد قال العلماء في تفسير ابن جرير أن الباحثين في الشرق والغرب قد أجمعوا الحكم على عظيم قيمته، واتفقوا على أنه مرجع لا غنى عنه لطالب التفسير، فقد قال السيوطي رضى الله عنه: "وكتابه - يعنى تفسير مُجَّد بن جرير - أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين". وقال النووي: "أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى" وقال أبو حامد الإسفراييني: "لوسافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير مُجَّد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما التفاسير التي في أيدي الناس، فأصحها تفسير ابن جرير الطبرى، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين، كمقاتل بن بكير والكلبي".^{١٥٤}

وقال الذهبي: وعلى الإجمال، فخير ما وصف به هذا الكتاب ما نقله الدأوى عن أبي مُجَّد عبد الله بن أحمد الفرغانى في تاريخه حيث قال: "فتم من كتبه - يعنى مُجَّد بن جرير - كتاب تفسير القرآن، وجوده، وبين فيه أحكامه، وناسخه ومنسوخة، ومشكله وغريبه، ومعانيه، واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله، والصحيح لديه من ذلك، وإعراب حروفه، والكلام

^{١٥٣} مُجَّد حسين الذهبي، التفسير و المفسر، ج. ١، ص. ١٤٩.

^{١٥٤} مُجَّد حسين الذهبي، التفسير و المفسر، ج. ١، ص. ١٤٩-١٥٠.

على الملحدين فيه، والقصص، وأخبار الأمة والقيامة، وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب كلمة كلمة، وآية آية، من الاستعاذة".^{١٥٥}

وأما منه منهجه في التفسير وفإنه فسر جميع آيات القرآن الكريم ولم يغادر آية منه، فبدأ بذكر اسم السورة باسمها، وروى ما كان لها من أسماء، إن روي لها أكثر من اسم. وبيان سبب نزول السورة أو الآية إن رويت فيها رواية، ولا يذكر إن السورة أو الآية مكية هي أم مدنية، بل بعد ذلك بدأ بتفسير آياتها، ولا يترك آية إلا وذكر ما روي في تفسيرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو الصحابة أو التابعين.^{١٥٦}

ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال، ويرجح بعضها على بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحال إلى ذلك، كما أنه يستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار.^{١٥٧}

ومن منهجه في نقل الرواية، إسناد الأثر إلى الرسول "ص" أو إلى ما انتهى إليه السند، وإذا كانت هناك رواية لا يرتضي سندها، أعرض عنها وذكر أنها "معلولة".^{١٥٨}

ومن منهجه إذا لم يجد نصا صحيحا عنده، ورد في تفسير الآية، واجتهد في تأويلها وفق ما تقتضيه اللغة، متبعا في ذلك وجوه القراءات، مرجح قراءة على قراءة، وهو يجمع في تفسير الآية

^{١٥٥} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٥٩-١٦٠.

^{١٥٦} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم ومنهجهم، المجلد. ٢، ص. ٧١٥.

^{١٥٧} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٥١.

^{١٥٨} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم ومنهجهم، المجلد. ٢، ص. ٧١٥.

على ما وقف عليه من الروايات في القراءات، فيذكرها بأسانيدها في ترتيب عجيب قد طال في ذلك من غير داع يقتضيه.^{١٥٩}

ويعتمد الطبري في تفسيره للأيات على التحليل اللغوي للألفاظ، فيذكر أصول اشتقاقها وعرف إستعمالها، ودلالاتها على المعاني في مواضعها من الجمل، وهو يراعي عند إستنباط المعاني صلة الآية بما قبلها ومناسبة المعاني بعضها ببعض.^{١٦٠}

وأما موقفه من الإسرائيليات والموضوعة، فإنه يكثر في نقلها، من دون إشارة إلى ضعفها. قال الشيخ أبوية في ذلك: "وقد أخذ على تفسير ابن جرير: أنه يذكر الروايات من غير بيان وتمييز لصحتها من ضعفها، والظاهر أنه من المحدثين الذين يرون أن ذكر السند، ولو لم ينص على درجة الرواية، يخلي المؤلف عن المؤاخذة والتبعة. ولم يسلم تفسير ابن جرير على جلالته مؤلفه من الروايات الواهية والمنكرة، والضعيفة والإسرائيليات، وذلك مثل ما ذكره من حديث الفتون، وفي قصص الأنبياء، وما ذكره في قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش، على ما يرويها القصص والمبطلون، وإن كان ذكر الرواية الصحيحة."^{١٦١}

والخلاصة، فقد كان تفسير الطبري صورة متكاملة لثقافة عصره كلها، حيث حوى الحديث والأثر والتفسير والقراءات واللغة والنحو والشعر والفقه وذلك في منهج عبقرى.^{١٦٢}

^{١٥٩} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم و منهجهم، المجلد. ٢، ص. ٧١٥-٧١٦.

^{١٦٠} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم و منهجهم، المجلد. ٢، ص. ٧١٦.

^{١٦١} محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، (د.م.ن: مكتبة السنة، د.ت)، ص. ١٢٣.

^{١٦٢} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم و منهجهم، المجلد. ٢، ص. ٧١٧.

ج) تفسيره للدابة في الآية الثمانية والثمانين من سورة النمل

قال الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ^{١٦٣} (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)، ذكر من قال مثل الذي قلنا في قوله تعالى: (وقع)، حدثني مُجَّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (وإذا وقع القول عليهم) قال: حق عليهم. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (وإذا وقع القول عليهم) يقول: إذا وجب القول عليهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: (وقع القول عليهم) قال: حق العذاب. قال ابن جريج: القول: العذاب. ذكر من قال قولنا في معنى القول: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: (وإذا وقع القول عليهم) والقول: الغضب.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علي، عن هشام، عن حفصة، قالت: سألت أبا العالية، عن قوله: (وإذا وقع القول عليهم) فقال: أو حى الله إلى نوح (أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) قالت: فكأنما كان على وجهي غطاء فكشف.

^{١٦٣} مجَّد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج. ١٩، (مصر: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠)، ص. ٤٩٥-٥٠٠.

وقال جماعة من أهل العلم: خروج هذه الدابة التي ذكرها حين لا يأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر. ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبوكريب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن عمرو بن قيس، عن عطية العوفي، عن ابن عمر في قوله: (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض) قال: هو حين لا يأمرن بمعروف ولا ينهون عن منكر.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا مُجَدِّد بن الحسن أبوالحسن، قال: ثنا عمرو بن قيس الملائمي، عن عطية، عن ابن عمر، في قوله: (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض) قال: ذاك إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبوأحمد، قال: ثنا سفيان، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن ابن عمر، في قوله: (أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) قال: حين لا يأمرن بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر.

حدثني مُجَدِّد بن عمرو المقدسي، قال: ثنا أشعث بن عبد الله السجستاني، قال: ثنا شعبة، عن عطية، في قوله: (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) قال: إذا لم يعرفوا معروفاً، ولم ينكروا منكراً.

وذكر أن الأرض التي تخرج منها الدابة مكة. ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب، قال: ثني الأشجعي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن ابن عمر، قال: تخرج الدابة من صدع في الصفا، كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن الفرات القزاز، عن عامر بن وائلة أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: إن الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون: والله لقد رأينا الدابة، حتى يبلغ ذلك الإمام، فيطلب فلا يقدر على شيء. قال: ثم تخرج فيراها الناس، فيقولون: والله لقد رأيناها، فيبلغ ذلك الإمام فيطلب فلا يرى شيئاً، فيقول: أما إني إذا حدث الذي يذكرها قال: حتى يعد فيها القتل، قال: فتخرج، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون، فتجيء إليهم فتقول: الآن تصلون، فتخطم الكافر، وتمسح على جبين المسلم غرة، قال: فيعيش الناس زماناً يقول هذا: يا مؤمن، وهذا: يا كافر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عثمان بن مطر، عن واصل مولى أبي عيينة، عن أبي الطفيل، عن حذيفة، وأبي سفيان، ثنا عن معمر، عن قيس بن سعد، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد، في قوله: (أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) قال: للدابة ثلاث خرجات: خرجة في بعض البوادي ثم تكمن، وخرجة في بعض القرى حين يهريق فيها الأمراء الدماء، ثم تكمن، فبينما الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها، إذ ارتفعت بهم الأرض، فانطلق الناس هراباً، وتبقى طائفة من المؤمنين، ويقولون: إنه لا ينجينا من الله شيء، فتخرج عليهم الدابة تجلوه وجوههم مثل الكوكب الدرّي، ثم تنطلق فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب، وتأتي الرجل

يصلني، فتقول: والله ما كنت من أهل الصلاة، فيلتفت إليها فتخطمه، قال: تجلوجه المؤمن، وتخطم الكافر، قلنا: فما الناس يومئذ؟ قال: جيران في الرباع، وشركاء في الأموال، وأصحاب في الأسفار.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن فضيل، عن الوليد بن جميع، عن عبد الملك بن المغيرة، عن عبد الرحمن بن البيهقي، عن ابن عمر: يبيت الناس يسرون إلى جمع، وتبيت الدابة تسائرهم، فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها، فما من مؤمن إلا مسحته، ولا من كافر ولا منافق إلا تخطه.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا الخيري، عن حيان بن عمير، عن حسان بن حمصة، قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: لو شئت لانتعلت بنعلي هاتين، فلم أمس الأرض قاعدا حتى أقف على الأحجار التي تخرج الدابة من بينها، ولكأني بما قد خرجت في عقب ركب من الحاج، قال: فما حججت قط إلا خفت تخرج بعقبنا.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي، قال: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن قيس بن سعد، عن عطاء، قال: رأيت عبد الله بن عمرو، وكان منزله قريبا من الصفا، رفع قدمه وهو قائم، وقال: لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة.

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربيعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وذكر الدابة، فقال حذيفة: قلت يا رسول الله، من أين تخرج؟ قال: "من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض

تحتهم، تحرك القنديل، وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدورأسها، ملمعة ذات وبر وریش، لم يدركها طالب، ولن يفوتها هارب، تسم الناس مؤمن وكافر، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنتك بين عينيه نكتة سوداء كافر".

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبوالحسين، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أو س بن خالد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلووجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا. يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر".

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبوسفیان، عن معمر، عن قتادة، قال: هي دابة ذات زغب وریش، ولها أربع قوائم تخرج من بعض أو دية تامة، قال: قال عبد الله بن عمر: إنها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء، فتفشوفي وجهه، فيسود وجهه، وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشوفي وجهه، حتى يبيض وجهه، فيجلس أهل البيت على المائدة، فيعرفون المؤمن من الكافر، ويتبايعون في الأسواق، فيعرفون المؤمن من الكافر.

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي، قال: ثنا ابن أبي مریم، قال: ثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب، قالوا ثنا ابن الهاد، عن عمر بن الحكم، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول: تخرج الدابة من شعب، فيمس رأسها السحاب، ورجلاها في الأرض ما خرجتا، فتمر بالإنسان يصلي، فتقول: ما الصلاة من حاجتك فتخطمه.

حدثنا صالح بن مسمار، قال: ثنا ابن أبي فديك، قال: ثنا يزيد بن عياض، عن مُحَمَّد بن إسحاق، أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو، قال: تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى، فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمان، وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض.

واختلفت القراءة في قراءة قوله: (تكلمهم) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار: (تكلمهم) بضم التاء وتشديد اللام، بمعنى تخبرهم وتحديثهم، وقرأه أبو زرعة بن عمرو: "تكلمهم" بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى: تسمهم. والقراءة التي لا أستجيز غيرها في ذلك ما عليه قراء الأمصار. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) قال: تحدثهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) وهي في بعض القراءة "تحدثهم" تقول لهم: (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، في قوله: (تكلمهم) قال: كلامها تنبئهم (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون).

وقال الطبري في قوله تعالى: (أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) اختلفت القراءة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة والشام: "إن الناس" بكسر الألف من "إن" على وجه الابتداء بالخبر عن الناس أنهم كانوا بآيات الله لا يوقنون؛ وهي وإن كسرت في قراءة هؤلاء فإن الكلام لها متناول.

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وبعض أهل البصرة: (أن الناس كانوا) بفتح أن بمعنى: تكلمهم بأن الناس، فيكون حينئذ نصب بوقوع الكلام عليها. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضتان في قراءة الأمصار، فأبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

٢. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء الإمام الحافظ ابن كثير

(أ) المؤلف

مؤلف هذا التفسير، هو الإمام الجليل الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير من ضوء بن كثير بن زرع البصرى ثم الدمشقى، الفقيه الشافعى، قدم دمشق وله سبع سنين مع أخيه بعد موت أبيه في سنة ٧٠٣ هـ. وهو لم يشب.^{١٦٤}

تتلمذ على ابن الشحنة، والآمدى، وابن عساكر، وغيرهم، كما لازم المزى وقرأ عليه تهذيب الكمال، وصاهره على ابنته. وأخذ عن ابن تيمية، وفتن بحبه، وامتنح بسببه. وذكر ابن قاضى شهبة في طبقاته: أنه كانت له خصوصية بابن تيمية، ومناضلة عنه، واتباع له في كثير من آرائه، وكان يفتى برأيه في مسألة الطلاق وامتنح بسبب ذلك وأو ذى.^{١٦٥}

^{١٦٤} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٣.

^{١٦٥} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٣.

وكان مولده سن ٧٠٠ هـ. (سبعمائة) أو بعدها بقليل وتوفي في شعبان سنة ٧٧٤ هـ. (أربع وسبعين وسبعمائة من الهجرة)، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية، وكان قد كف بصره في آخر عمره. رحمه الله رحمة واسعة.^{١٦٦}

كان ابن كثير على مبلغ عظيم من العلم، وقد شهد له العلماء بسعة علمه، وغزارة مادته، خصوصا في التفسير والحديث والتاريخ. قال عنه ابن حجر: "اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، وجمع التفسير، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية، وعمل طبقات الشافعية، وشرع في شرح البخارى.^{١٦٧}

وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، وصارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالى، وتميز العالى من النازل، ونحو ذلك من فنونهم، وإنما هو من محدثى الفقهاء، وقد اختصر مع ذلك كتاب ابن الصلاح، وله فيه فوائد". وقال الذهبي عنه في المعجم المختص: "الإمام المفتى، المحدث البارع، فقيه متفنن، محدث متقن، مفسر نقال، وله تصانيف مفيدة"، وذكره صاحب شذرات الذهب فقال: "كان كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيد الفهم"، وقال ابن حبيب فيه: "زعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بالفتوى وشنف، وحدث وأفاد، وطارت أو راق فتأويله في البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير"، وقال فيه أحد تلاميذه ابن حجي: "أحفظ من أدركناه لمتون الحديث، وأعرفهم بجرحها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان

^{١٦٦} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٣-١٧٤.

^{١٦٧} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٤.

أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وما أعرف أنى اجتمعت به على كثرة ترددى عليه إلا واستفدت

منه".^{١٦٨}

وعلى الجملة، فعلم ابن كثير يتجلى بوضوح لمن يقرأ تفسيره أو تاريخه، وهما من خير ما ألف،
وأجود ما أخرج الناس.

ب) كتابه

تفسير ابن كثير من أشهر ما دون في التفسير المأثور، ويعتبر في هذه الناحية الكتاب الثانى بعد
كتاب ابن جرير. اعتنى فيه مؤلفه بالرواية عن مفسرى السلف، ففسر فيه كلام الله تعالى
بالأحاديث والآثار مسندة إلى أصحابها، مع الكلام عما يحتاج إليه جرحاً وتعديلاً. وقد طبع هذا
التفسير مع معالم التفسير للبعوى، ثم طبع مستقلاً في أربعة أجزاء كبار.^{١٦٩}

وقد قدم له مؤلفه بمقدمة طويلة هامة، تعرض فيها لكثير من الأمور التى لها تعلق واتصال
بالقرآن وتفسيره، ولكن أغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذى ذكره في
مقدمته في أصول التفسير.^{١٧٠}

يمتاز هذا التفسير في طريقته بأنه يذكر الآية، ثم يفسرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح
الآية بآية أخرى ذكرها وقارن بين الآيتين حتى يتبين المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع

^{١٦٨} محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسر، ج. ١، ص. ١٧٤.

^{١٦٩} محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسر، ج. ١، ص. ١٧٤.

^{١٧٠} محمد حسين الذهبي، التفسير و المفسر، ج. ١، ص. ١٧٤-١٧٥.

من التفسير الذى يسمونه تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الكتاب أكثر ما عرف من كتب التفسير سردا للآيات المتناسبة فى المعنى الواحد.^{١٧١}

ثم بعد أن يفرغ من هذا كله، يشرع فى سرد الأحاديث المرفوعة التى تتعلق بالآية، ويبين ما يحتج به وما لا يحتج به منها، ثم يردف هذا بأقوال الصحابة والتابعين ومن يليهم من علماء السلف.^{١٧٢}

ويرجح ابن كثير بعض الأقوال على بعض، ويضعف بعض الروايات، ويصحح بعضها آخر منها، ويعدل بعض الرواة ويحرج بعضها آخر. وهذا يرجع إلى ما كان عليه من المعرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال.^{١٧٣}

وكثير ما نقله ابن كثير فى تفسيره من تفسير ابن جرير، وابن أبى حاتم، وتفسير ابن عطية، وغيرهم ممن تقدمه. ومما يمتاز به ابن كثير، أنه ينبه إلى ما فى التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات، ويحذر منها على وجه الإجمال تارة، وعلى وجه التعيين والبيان لبعض منكراتها تارة أخرى.^{١٧٤}

ويدخل ابن كثير فى خلافات الفقهاء، ويخوض فى مذاهبهم وأدلتهم كلما تكلم عن آية لها تعلق بالأحكام، ولكنه مع هذا مقتصد مقل لا يسرف كما أسرف غيره من فقهاء المفسرين.^{١٧٥}

^{١٧١} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٥.

^{١٧٢} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٥.

^{١٧٣} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٥.

^{١٧٤} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٥.

^{١٧٥} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٥.

وبالجمل، فإن هذا التفسير من خير كتب التفسير بالمأثور، وقد شهد له بعض العلماء فقال

السيوطي في ذيل "تذكرة الحفاظ" والزرقاني في "شرح المواهب": إنه لم يؤلف على نمطه مثله.^{١٧٦}

ج) تفسيره للدابة في الآية الثانية والثمانين من سورة النمل

قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى:^{١٧٧} (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)، هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أو امر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض - قيل: من مكة. وقيل: من غيرها. كما سيأتي تفصيله - فتكلم الناس على ذلك.

قال ابن عباس، والحسن، وقتادة - وروي عن علي عليه السلام -: تكلمهم كلاماً أي: تخاطبهم مخاطبة. وقال عطاء الخراساني: تكلمهم فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. ويروى هذا عن علي، واختاره ابن جرير. وفي هذا "القول" نظر لا يخفى، والله أعلم. وقال ابن عباس - في رواية - تجرحهم. وعنه رواية، قال: كلا تفعل يعني هذا وهذا، وهو قول حسن، ولا منافاة، والله أعلم.

وقد ورد في ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة، فلنذكر ما تيسر منها، والله المستعان: قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن فرات، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال: "لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم،

^{١٧٦} محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسر، ج. ١، ص. ١٧٦.

^{١٧٧} أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كشي، تفسير القرآن العظيم، ج. ٦، (رياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩)، ص. ٢١٠-٢١٤.

والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق -أو : تحشر -الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا".

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن، من طرق، عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة موقوفا. وقال الترمذي: حسن صحيح. ورواه مسلم أيضا من حديث عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطفيل، عنه مرفوعا. والله أعلم.

طريق أخرى: قال أبو داود الطيالسي، عن طلحة بن عمرو، وجريير بن حازم، فأما طلحة فقال: أخبرني عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثي: أن أبا الطفيل حدثه، عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي سريحة، وأما جريير فقال: عن عبد الله بن عبيد، عن رجل من آل عبد الله بن مسعود - وحديث طلحة أتم وأحسن - قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: "لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج خرقة من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية -يعني: مكة - ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرقة أخرى دون تلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية" يعني: مكة. -قال رسول الله ﷺ: "ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها: المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغوبين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب. فارفض الناس عنها شتى ومعا، وبقيت عصابة من المؤمنين، وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرّي، وولت في الأرض لا يدركها طالب، ولا ينجومنها هارب، حتى إن الرجل ليتعود منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان، الآن تصلي؟ فيقبل عليها فتسمة في وجهه، ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال، ويصطحبون في الأمصار، يعرف المؤمن من الكافر، حتى إن

المؤمن ليقول: يا كافر، اقضني حقي. وحتى إن الكافر ليقول: يا مؤمن، اقضني حقي". ورواه ابن جرير من طريقين، عن حذيفة بن أسيد موقوفاً فالله أعلم. ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً، وأن ذلك في زمان عيسى بن مريم، وهو يطوف بالبيت، ولكن إسناده لا يصح.

حديث آخر: قال مسلم بن الحجاج: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتهما، فالأخرى على إثرها قريباً".

حديث آخر: روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب - مولى الحرقة - عن أبيه: عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة". وله من حديث قتادة، عن الحسن، عن زياد بن رباح، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة وخويصة أحدكم".

حديث آخر: قال ابن ماجه: حدثنا حرملة بن يحيى، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث وابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعد، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، والدجال، وخويصة أحدكم، وأمر العامة". تفرد به.

حديث آخر: قال أبودأود الطيالسي أيضا: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أو س بن خالد، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "تخرج الدابة، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان، عليهما السلام، فتخطم أنف الكافر بالعصا، وتجلي وجه المؤمن بالخاتم، حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر".

ورواه الإمام أحمد، عن بهز وعفان ويزيد بن هارون، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة، به. وقال: "فتخطم أنف الكافر بالخاتم، وتجلووجه المؤمن بالعصا، حتى إن أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر".

ورواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يونس بن مُجد المؤدب، عن حماد بن سلمة، به.

حديث آخر: قال ابن ماجه: حدثنا أبوغسان مُجد بن عمرو، حدثنا أبوقيلة، حدثنا خالد بن عبيد، حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية، قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ: "تخرج الدابة من هذا الموضع. فإذا فتر في شبر". قال ابن بريدة: فحججت بعد ذلك بسنين، فأرانا عصا له، فإذا هو بعصاي هذه، كذا وكذا.

وقال عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة؛ أن ابن عباس قال: هي دابة ذات زغب، لها أربع قوائم، تخرج من بعض أو دية تهامة.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية قال: قال عبد الله: تخرج الدابة من صدع من الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام، لم يخرج ثلثها.

وقال مُجَدُّ بن إِسْحَاق، عن أَبَان بن صالح قال: سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة، فقال: الدابة تخرج من تحت صخرة بجياد، والله لو كنت معهم -أولوشئت بعصاي الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها. قيل: فتصنع ماذا يا عبد الله بن عمرو؟ قال: تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان. قيل: ثم ماذا؟ قال: لا أعلم.

وعن عبد الله بن عمر، أنه قال: تخرج الدابة ليلة جمع. ورواه ابن أبي حاتم. وفي إسناده ابن اليلمان.

وعن وهب بن منبه: أنه حكى من كلام عزيز، عليه السلام، أنه قال: وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها، وتضع الحبالى قبل التمام، ويعود الماء العذب أجاجا، ويتعادى الأخلاء، وتحرق الحكمة، ويرفع العلم، وتكلم الأرض التي تليها. وفي ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون، ويتعبون فيما لا ينالون، ويعملون فيما لا يأكلون. رواه ابن أبي حاتم، عنه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح -كاتب الليث -حدثني معاوية بن صالح، عن أبي مريم: أنه سمع أبا هريرة، رضي الله عنه، يقول: إن الدابة فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب. وقال ابن عباس: هي مثل الحربة الضخمة.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه السلام، أنه قال: إنها دابة لها ريش وزغب وحافر، وما لها ذنب، ولها لحية، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثاً، وما خرج ثلثها. ورواه ابن أبي حاتم.

وقال ابن جريج، عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً، تخرج معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء، فتفشوتلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان، فتفشوتلك النكتة حتى يسود لها وجهه، حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق: بكم ذا يا مؤمن، بكم ذا يا كافر؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم، فيعرفون مؤمنهم من كافرهم، ثم تقول لهم الدابة: يا فلان، أبشر، أنت من أهل الجنة، ويا فلان، أنت من أهل النار. فذلك قول الله تعالى: "وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون".

ب. التفسير الحديث

١. تفسير المراغي للأستاذ الشيخ أحمد مصطفى المراغي

أ) المؤلف

هو الأستاذ الشيخ أحمد بن مصطفى بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي، المفسر، الفقيه، شقيق محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر وصاحب بحوث تفسيرية. وربما يزداد في آخر الإسم بك. ولد المراغي بالمراغة من أعمال مديرية جرجا في الصعيد في سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م. ونشأ بها، وتعلم في الجامعات الأزهر ودار العلوم بالقاهرة سنة ١٨٨٩م. تخرج بهما سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرسا بالشريعة الإسلامية بها، وولى نظارة بعض المدارس، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وكان لامع الذكاء منذ طفولته، وعظيم الشخصية. نشأ محبا للإسلام. ومن أساتذته وأشياخه: الأستاذ الإمام محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ومحمد بنحيت المطيعي، واحد الرفاعي الفيومي، وغيرهم. وتوفي المراغي سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م بالقاهرة وعمره ٦٩ سنة.^{١٧٨}

كان المراغي من العائلة الشديدة في العلم والعدل، حتى تعرف بعائلة القضاة. نشأ المراغي مع ثمانية أشقاء تحت تلك العائلة. ومن هذه العائلة يعرف المراغي أساس الإسلام قبل تعلمه في المدرسة بقريته. وحفظ المراغي القرآن قبل سن الثالثة عشرة.

^{١٧٨} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم ومنهجهم، المجلد ٢، ص. ٦١٣-٦١٤.

ب) كتابه

يعد تفسيراً إجتماعياً شاملاً يشاكل حاجة الناس في هذا العصر في أسلوبه وطريق رصفه ووضعه، سهل المآخذ، يحوي ما تطمئن إليه النفس، تدعّمه الحجّة والبرهان، وتؤيد التجربة والإختيار.^{١٧٩}

وهو تفسير يشرح الألفاظ المفردة، التي يصعب على القارئ فهمها لأول وهلة، ثم يذكر المعنى المراد من الآيات بعبارة مختصرة، مع تجنب القصص الإسرائيلية المدسوسة، وخرافات الدخلية على علم التفسير، واستدل بأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بعض المواضع، وبأشعار العرب وبأقوال أهل اللغة والعلماء في البعض الآخر.^{١٨٠}

قال المراغى في مقدمة تفسيره: "كتاب الله دستور التشريع، ومنبع الأحكام التي طلب إلى المسلمين أن يعملوا بها، ففيه بيان الحلال والحرام والأمر والنهي، هو معين الآداب والأخلاق التي أمروا أن يستمسكوا بها، لتكون مصدر سعادتهم، ومنبع هدايتهم، ونيلهم الزلفى عند ربهم في جنات النعيم فهي الوسيلة لإصلاح حال المجتمع الإسلامى إذا أخذوا بها ولم يحيدوا عن طريقها، وينحرفوا عن سننها."

وكان منهجه في التفسير، ذكر اسم السورة وعدد آياتها ومحل نزولها وترتيب نزولها ويبلن مناسبتها لما قبلها. والإعراض عن ذكر الروايات المأثورة إلا إذا تلقاها العلم والعقل بالقبول، ولم ير

^{١٧٩}مُجَدَّ عَلِي إِبَارِي، المفسرون: حياتهم و منهجهم، المجلد. ٢، ص. ٦١٤.

^{١٨٠}مُجَدَّ عَلِي إِبَارِي، المفسرون: حياتهم و منهجهم، المجلد. ٢، ص. ٦١٥.

فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التي لا خلاف فيها بين أهله. ويتعرض في مناسبات الآية للمسائل العقيدية والكلامية، مع توجيه الآيات بما يراه صحيحا عنده. وكذلك تعرض للأحكام الفقهية التي تعلقت الآية بها، ونقل الروايات والفتاوى من المذاهب الأربعة من غير توسع وبيان تفصيلي للحكم، بل الغرض تفسير الآية والاستدلال للحكم الموجود فيها، وذكر الأسرار والحكم التي يمكن إحتماؤها في الحكم من الناحية الإجتماعية والعلمية.^{١٨١}

ومنهج الإجتناح عما ذهب إليه جمهور المفسرين مما تناسب أهل العصور السابقة، من ذكر مصطلحات العلوم الأدبية، من نحووصرف وبلاغة، إلى أشباه ذلك مما أدخله المفسرون في التفاسير. ويجتنب عن الأخبار الإسرائيلية ولم يتعرض لهذه الأخبار حيث إتبع طريقة إستاذه الشيخ محمد عبده في ذلك.^{١٨٢}

وأما بالنسبة إلى إتجاهه في التفسير العلمي، فمنجهة يؤكد على التحذير من سلوك هذا المنهج والتطرف فيه، لأن ذلك مما يشغل القارئ عن المقاصد العالية والهداية السامية للقرآن الكريم. ومن جهة يحرض التفكير في آياته لما تضمنه من الإشارة إلى إسرار الخلق وظواهر الطبيعة، ما تؤيده التجربة والإختبار ويجوى ما تطمئن إليه النفس من تحقيق علمي تدعمه الحجة والبرهان، ليزداد إيماننا مع إيمانهم، وجها من وجوه إعجازه، إذ فيها معرفة حقائق علمية تأخر العلم بها والكشف عن معرفتها وإثباتها ثلاثة عشر قرنا.^{١٨٣}

^{١٨١} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم ومنهجهم، المجلد. ٢، ص. ٦١٦-٦١٧.

^{١٨٢} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم ومنهجهم، المجلد. ٢، ص. ٦١٦-٦١٧.

^{١٨٣} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم ومنهجهم، المجلد. ٢، ص. ٦١٨.

وطريقته في التفسير، تقويم على أساس تقسيم الآيات إلى مقاطع جزئية، كل آيتين أو ثلاث تكون مقطعا. ويبدأ كلامه حولها بذكر الآيات في صدور البحث وتفسير الكلمات التي فيها بعض الخفاء-إن وجدت- ثم بيان المعنى الجملي وبالإيضاح المفصل لها وتفسيرها تفسيراً تحليلياً، ثم يقسم التفسير لموضوعات هي: شرح المفردات، المعنى الجملي، الإيضاح، وفي خاتم السورة: مقاصد السورة.^{١٨٤}

والخلاصة: ان هذ التفسير كان عصريا إجتماعيئا هداثيا في بيان الآية وكان سهل التناول. واضح الغرض، المتناسب مع حاجة القارئ، الموافق لأمزجته، المتوسط في فهم آيات القرآن الكريم، المهدي بما يناسب هذا العصر وحاجاتهم التربوية والهدائية.^{١٨٥}

ج) تفسيره للدابة في الآية الثانية والثمانين من سورة النمل

جمع المراغي تفسير الآية الثانية والثمانين من سورة النمل مع الآيات بعدها الى الآية التسعين جزئياً. وإنما سيعرض في هذا البحث، تفسير الدابة في الآية الثانية والثمانين من سورة النمل فقط. قال المراغي في تفسيره:^{١٨٦}

تفسير المفردات: (وقع) حدث وحصل، والمراد من (القول) ما دل من الآيات على مجيء الساعة، (تكلمهم) أي تنبئهم وتخبرهم.

^{١٨٤} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم و منهجهم، المجلد ٢، ص. ٦١٦.

^{١٨٥} محمد علي إيازي، المفسرون: حياتهم و منهجهم، المجلد ٢، ص. ٦٢٠.

^{١٨٦} أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج. ٢٠، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده)، ص. ٢٠-٢٢.

المعنى الجملي: بعد أن ذكر سبحانه ما يدل على كمال علمه وقدرته، وأبان بعدئذ إمكان البعث والحشر والنشر، ثم فصل القول في إعجاز القرآن، ونبه بذلك إلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم- أردف ذلك ذكر مقدمات القيامة وما يحدث من الأهوال حين قيامها، فذكر خروج دابة من الأرض تكلم الناس أنهم كانوا لا يؤمنون بآيات ربه، وأنه حينئذ ينفخ في الصور، فيفزع من السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وأن الجبال تجري وتمرر السحاب ثم بين أحوال المكلفين بعد ذلك وجعلهم قسمين: مطيعين يعملون الحسنات فيثابون عليها بما هو خير منها ويؤمنون الفزع والخوف ساعتئذ، وعاصين يكبون في النار على وجوههم ويقال لهم حينئذ هذا جزاء ما كنتم تعملون.

الإيضاح: (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يخبر سبحانه بأنه حين فساد الناس وتركهم أو امره وتبديلهم الدين الحق قرب مجيء الساعة- تخرج دابة من الأرض تحدث الناس بأنهم كانوا لا يوقنون بآياته الدالة على مجيء الساعة ومقدماتها.

والمقصود من هذا التحديث: التشنيع عليهم بهذه المقالة، وفي التعبير بكلمة (الناس) الإشارة إلى كثرتهم وأنهم جم غفير منهم.

وما جاء في وصف الدابة والمبالغة في طولها وعرضها، وزمان خروجها ومكانه- مما لا يركن إليه، فإن أمور الغيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبتت بالدليل القاطع عن الرسول المعصوم.

٢. تفسير المصباح للأستاذ مُجَّد قريش شهاب

(أ) المؤلف

البروييسور الدكتور الجامعي مُجَّد قريش شهاب، هو أحد العلماء الإندونيسيين المختص بمجال علم تفسير القرآن، ولد في ١٦ فبراير سنة ١٩٩٤ م. رابانغ، جنوب سولأو يزي.^{١٨٧} هو ابن ابن أحد المقاولين وأيضا العلماء المختص بمجال علم تفسير القرآن، الذي يتمتع بالسمعة الطيبة في عالم التعليم في جنوب سولأو يزي، هو الدكتور الجامعي عبد الرحمن شهاب (١٩٠٥-١٩٨٦ م).^{١٨٨}

وحصل على درجة الماجستير في مجال تفسير القرآن في جامعة الأزهر بالقاهرة، مصر سنة ١٩٦٩. وفي سنة ١٩٨٢ حصل على الدكتوراه في دراسات القرآن بتخرج بمميزات مع مرتبة الشرف الأولى في هذه الجامعة أيضا. أدى تفانيه في التعليم إلى أن يصبح رئيس الجامعة في جامعة الدولة الإسلامية (IAIN) شريف هداية الله في سنة ١٩٩٢-١٩٩٨. ولا يقتصر تفانه في المجال الأكاديمي. شغل منصب رئيس المجلس الإندونيسي (المركزي) ١٩٨٥-١٩٩٨. وعضو RI-MPR في سنة ١٩٨٢-١٩٨٦ و١٩٨٧-٢٠٠٢؛ وفي سنة ١٩٩٨، عهد إليه بمنصب وزير الدين في جمهورية إندونيسيا. وهو المشهور بالكاتب الغريز. الذي أنتج أكثر من أربعين كتابا ولد من يديه، منها المشهورة، هي:

^{١٨٧} انظر إلى مُجَّد قريش شهاب، *Wawasan Al-Quran*، (باندونغ: PT. Mizan Pustaka، ٢٠١٣).

^{١٨٨} بديعة الراقين، و أصحابه، *101 Jejak Tokoh Islam Indonesia*، (يوجياكارتا: e-Nusantara، ٢٠٠٩)، ص. ٢٦٩.

15) تفسير المصباح، (1996) *Wawasan Al-Quran*، (1994) *"Membumikan" Al-Quran*، (2003) *jilid*، (2004) *Dia di Mana-mana*، و *Membaca Sirah Nabi Muhammad saw.* (2011).

وظهر أيضا بشكل متكرر في وسائل الإعلام المختلفة لتقديم تغطية روحية وفكرية. نشاطه الرئيسي الآن هو محاضر (أستاذ) خريج جامعة الدولة الإسلامية (UIN) جاكرتا ومدير مركز دراسات القرآن (PSQ) جاكرتا.^{١٨٩}

ب) كتابه

كان تفسيره يأسس على أن القرآن هو هدى للناس في جميع المشاكل التي يواجهونها، والفرقان بين الحق والباطل، خاصة لمجتمع أندونيسيا. فلذلك يؤكد تفسيره على كشف هداية في كل آية من القرآن بلغة أندونيسيا. وهناك عدة مناهج أكدها في تفسير آيات القرآن في كتابه لتحقيق هذا الهدف، منها:^{١٩٠}

هو يحاول دائما تقديم مناقشة لكل سورة حول ما يسمى الغرض من السورة، أو الموضوع الرئيسي للسورة. طبعا، وفقه للخبراء، لكل سورة موضوع رئيسي. على هذا الموضوع تدور حول وصف الآيات. لذلك، وفقا له، إذا كان قادرا على تقديم الموضوعات الرئيسية، فيمكنه تقديم الرسالة الرئيسية بشكل عام، حتى تكون مائة وأربع عشرة سورة في القرآن أقرب وأسهل في الفهم.

^{١٨٩} انظر إلى محمد قريش شهاب، *Wawasan Al-Quran*.

^{١٩٠} محمد قريش شهاب، تفسير المصباح، ج. ١، (جاكرتا: Lentera Hati، ٢٠٠٧)، ص. ix.

ويعتبر بشأن المناسبة القرآنية، كما قالوا العلماء الذين يسعون وراء علم مناسبة القرآن،

المناسبة بين أجزاء القرآن، على الأقل في ستة جوانب:^{١٩١}

(١) مناسبة كلمة بكلمة في السورة

(٢) مناسبة مضمون الآية بالفاصلة هي الكلمة الأخيرة التي تنتهي فيها الآية القرآنية

(٣) مناسبة العلاقة بين الآية بالآية التالية

(٤) مناسبة تصوير مقدمة السورة بخاتمها

(٥) مناسبة خاتمة السورة بتصوير مقدمتها

(٦) مناسبة موضوع السورة باسمها.

ويفسر الآيات باعتبار أسباب نزولها ومقامتها، ويهتم أيضا باللغة في كل آية يفسرها، حتى يتمكن في تفسيره من أخذ المعنى الضمني في كل كلمة في الآية، حتى يتمكن من العثور على الرسالة الأساسية التي يجب نقلها في الآية. خاصة، أن أسلوب لغة القرآن تميل الى الإيجاز من الإطناب، وكثير من آيات القرآن باستعمال الإحتباك: فهو أن يحذف من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل، ويحذف من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل.^{١٩٢}

ثم اقتبس بعض مؤلفات العلماء السابقين والمعاصرين في كتاب تفسيره وكذلك لقد اقتبس حقا وجهات نظرهم ، على وجه الخصوص رأي المفسر إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م). وجعل تفسيره عند ما يزال في شكل مخطوطة مواد أطروحته في جامعة الأزهر، بالقاهرة،

^{١٩١} محمد قريش شهاب، تفسير المصباح، ج. ١، ص. xxii.

^{١٩٢} محمد قريش شهاب، تفسير المصباح، جزء ١، ص. x-xi.

قبل عشرين عاما. وكذلك بالنسبة لعمل التفسير للمرشد الأعلى للأزهر اليوم، سيد مُجَّد الطنطاوي، وكذلك الشيخ متولي الشعراي، الأنسة سيد قطب، مُجَّد طاهر بن عاشور، سيد مُجَّد حسين الطباطبائي، والعديد من المفسرين الآخرين.^{١٩٣}

هذا تفسير المصباح، هو تفسير كامل للقرآن ثلاثون فصلا مقسمة إلى خمسة عشر مجلدا بطريقة التحليلي. وأما كتابة تفسيره يبدأ كل مناقشة ببيان اسم السورة، وخلفية تسمية السورة، وكذلك الموضوع الرئيسي في مناقشة السورة. وبعد ذلك، يعرض آيات من القرآن بتجميع عدة آيات في جزء واحد لتربطها، وإذا كان هناك سبب نزول آية أو سورة، يعرضها، ثم يفسر الآيات. يستخدم ترجمة القرآن باللغة الإندونيسية في تفسير آيات القرآن، ويفسرها أيضا باللغة الإندونيسية، حيث يقوم بإدخال تفسيرات لكل كلمة يعتقد أنه يجب شرحها أو التي يبدو معناها غامضا. ويحتوي تفسيره على لون الأدب الاجتماعي مع نهج المأثور والرأي، بالإضافة إلى السياق واللغة.

ج) تفسيره للدابة في الآية الثانية والثمانين من سورة النمل

قال قريش شهاب في تفسيره لقوله تعالى:^{١٩٤} (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)، بعد الانتهاء من ذم العاصي في الآيات السابقة، عاد الآن وتم تحذيرهم من التهديدات والعذاب الذي قد يواجهوه نه، وسابقا طلبوا التعجيل. تقول

^{١٩٣} مُجَّد قريش شهاب، تفسير المصباح، جزء ١٠، ص. xi.

^{١٩٤} مُجَّد قريش شهاب، تفسير المصباح، ج. ١٠، (جاكارتا: Lentera Hati، ٢٠٠٧)، ص. ٢٧٧-٢٨٠.

الآية أعلاه: وإذا وقع القول عليهم أي عندما الوقت وصول يوم القيامة قريب جدا، أخرجنا أي لأية وصولها لهم دابة أي الزواحف أو البشر من الأرض تكلمهم، ومن كلماتها: أن الناس أي عاصيين كانوا بايتنا أي علامات وحدتنا وقوتنا المقروءة والمنتشرة في العالم الواسع، دائما لا يوقنون.

(وقع القول) يفهمه كثير من العلماء على أنه اقتراب يوم القيامة. يشير الفعل الماضي من الفعل هنا إلى التقارب / القرب، مثل القول: (قد قامت الصلاة) وهو ما يعني حرفيا أن الصلاة قد اكتملت، على الرغم، من أن الصلاة ستقام بالفعل. وتسمية القيامة بالقول أي حرفيا الكلمات/الكلام علامة على أنه في ذلك الوقت - إذا كان شخص ما يتحدث ، فإن مادة حديثه وأقواله ستكون حول القيامة فقط.

يفهم الطباطبائي هذه الجملة بمعنى إثبات قضاء الله وكلمته، وهي: سنريهم آيتنا في آفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (الفصلة: ٥٣). والآيات (الأدلة) المشار إليها هنا - على حد قوله - غير الأدلة المنتشرة في السماء والمنتشرة على الأرض والتي طالما رأوا ها. لكن الأدلة فوقية هي التي تجعلهم مجبرين على الخضوع والإيمان بعد كل الوقت لقد رفضوا دائما الأدلة المعروضة أمام أعينهم. وهكذا - تابع هذا العالم الشيعي - قوله تعالى: (أن الناس كانوا بايتنا لا يوقنون) أي "سبب" أن الآية/الدليل على أن الله سبحانه وتعالى. أي أن هذه الآية مثل القول: "لأن الناس لم يوقنوا بآياتنا، فأخرجنا لهم دابة... وإلي الآخر. ذكر كلمة (كانوا) هو على حد قوله يدل على ثباتهم في نبد آيات الله المنتشرة والتي ليست فوقية في صفتها.

(دابة) حيث اللغة، تعني كل الحيوانات التي لها روح وذكاء أوليس لديها ذكاء ، ذكرا كان أو أنثى. هي مأخوذ من كلمة (دب) يعني المشي ببطء. ولكن كلمة دابة تستخدم عادة للإشارة إلى الحيوانات ذات الأرجل الأربعة. وقد تعددت الروايات في بيان الضبة ، بدءا من شكلها ومدتها وحتى زمانها. ولكن لا يمكن تبرير صحتها.

وكما سبق فإن كلمة دابة من حيث اللغة يمكن أن تشمل البشر ، على هذا الأساس يفهمها بعض العلماء بمعنى الإنسان. يقترح فريق الصياغة في تفسير المنتخب معينين عندما يفسر كلمة دابة بمعنى الإنسان. أولا: عندما يحين اليقين بأن الكفار سيعاقبون، يزورهم مجموعة من المؤمنين الذين يسرون في الوادي أو البر ليهزوا الكفار ويدمرون أبنيةهم. ثانيا: الدابة هي الإنسان العاصي المشابه بالحيوانات ذات الأرجل الأربعة. حسنا، إذا كان التعريف على هذا النحو، فالمعنى: عندما اقترب يوم القيامة تمتلئ هذه الأرض بالشر والفساد، وستكون هناك أحداث يوم القيامة ينكرها الكفار. إنها الأحداث والحقائق المقصود بكلمة "القول" بهذا المعنى، وليس المعنى حرفيا.

(أخرجنا لهم دابة من الأرض) فهمها الطباطبائي بمعنى الإحياء بعد وفاتها. إذا كان المراد بكلمة الدابة إنسانا، فالكلام كمثل كلام الإنسان، وإن كان حيوانا، فالكلام شيء فوقى.

والنهاية أكد طباطبائي أن هذه الآية تعني: إذا وصل البشر - وبالتأكيد سيصلون - إلى مرحلة لم يوقنوا فيها بآياتنا التي تظهر في الطبيعة، ولم يعد لديهم أي استعداد للإيمان بها. الاستدلال أو التبرير، فلما حان الوقت لنبين لهم ما وعدنا به من آياتنا الفوقية (أدلة القوة) التي تبين الحق حتى يجبرون على الاعتراف به. تلك الآية/الدليل دابة نخرجه من الأرض. هكذا الطباطبائي.

وأكد السيد قطب أن خروج دابة في هذه الآية موجود في كثير من الأحاديث. بعضها صحيح، ولكن لا يوجد تفسير لمدى الدابة من الأحاديث الصحيحة. توجد تفسيرات حول صفاتها في الروايات التي لم تصل إلى مرتبة الصحيحة. لذلك - كتب قطب: لا داعي لأن ننتبه لصفاتها. وماذا إذا كان طولها ستون ذراعا أم بها شعر ناعم أو خشن، أو أرجل، أولديها لحية، أو رأسها رأس جاموس، وعيناها عيون خنزير، وأذناها آذان فيل، رقبتها رقبة نعامة، وصدرها صدر أسد، ولون جلدها يشبه لون جلد النمر، وخصرها خصر قطة، وذيلها ذيل ماعز، وقدمها قدم الجمل، أو الصفات، والخصائص، والصور المختلفة التي تبهر بعض المفسرين. ويكفي لنا أن نتوقف عند نص آيات القرآن والحديث النبوي التي تنص على أن خروج الدابة من علامات اقتراب يوم القيامة، وإذا انتهى مرحلة لم تنفيذ التوبة فيها، وإذا أتى قضاء الله (اقترب)؛ لم تقبل التوبة بعد ذلك، حتى يثبت قضاء الله لأجل ظروف البعض بالبعض. وعند ذلك أخرج الله لهم دابة تتكلم لهم. وفي ذلك الوقت سوف يفهم كلامها البشر ويعرفون أن هذا حدث غير عادي يشير إلى اقتراب يوم القيامة، لم يؤمنوا بآيات الله من قبل، ولا تبرر وجود يوم القيامة. هكذا سيد قطب.

النهاية، يجب على كل مسلم أن يؤمن بأن هناك شيئا يسمى دابة سيحضرها الله قبل يوم القيامة. سوف "تتكلم" بطريقة لا نعرف كيف وبأي لغة. وإن كانت حيوانا، فتستخدم لغة مثل لغة الطيور والنمل، وذلك ما فهمه النبي سليمان عليه السلام، أو ربما أيضا باللغة التي عرفها البشر حتى الآن - خاصة إذا كان المقصود بالدابة هو البشر. لا يمكننا التأكد من كل ذلك. كما أننا لا نعلم ولا نحتاج إلى متابعة بعض العلماء الذين يناقشون متى وأين تظهر الدابة وشكلها وصفاتها.